الجيش المصري بعد العراقي والسوري

د. خليل حسين

أستاذ العلاقات الدولية والدبلوماسية في الجامعة اللبنانية

بيروت: ٢٤-٢-٢٠١٥

في مقارنة بسيطة ، وبالعودة إلى نهاية الثمانينيات من القرن الماضي، استلم الإسلاميون السلطة في الجزائر، وكان ثمن إلغاء الانتخابات، ضرب الجيش الجزائري ، الجيش الذي ورث أيقونة المليون شهيد للوصول إلى الاستقلال ، وراكم إيديولوجيته السياسية بمساهماته الفعالة في سياق الحروب العربية الإسرائيلية، الأمر عينه ينطبق على الجيش العراقي ، ذلك بصرف النظر عن طبيعة النظامين السياسي في كل من العراق والجزائر .وبذلك تم القضاء عمليا على جيشين شكلا خط الدفاع الثاني في مسار الصراع العربي الإسرائيلي، بصرف النظر عن أشكال وطرق ضرب هذين الجيشين.

منذ العام ٢٠١٠، يُستنزف الجيش السوري في متاهات حرب داخلية بأبعاد إقليمية ودولية واضحة، إلا أن الهدف يبدو جليا، هو إنهاء دوره المركزي في الصراع العربي الإسرائيلي ، بصرف النظر عن حجم هذا الدور بعد حرب العام ١٩٧٣ ، وفترة السكون العسكري على جبهة الجولان.

اليوم العيون شاخصة على الجيش المصري، وكان قدره آت بعد الجيشين العراقي والسوري، فلسلسة الضربات الأمنية والعسكرية التي وجهت له في سيناء في السنوات الماضية ، يشي بسياق سبق وان جُرب في غير جيش عربي، حيث تم تهميشها وإضعافها وتحويلها إلى قوى أمنية داخلية ، أدخلت في أتون الاقتتال الداخلي وألهمت بصراعات ونزاعات ثانوية ليست من اختصاصها في الأساس.

وعلى الرغم أيضا من إخراج الجيش المصري من موقعه الطبيعي بمواجهة إسرائيل بعد معاهدات كامب ديفيد ومندرجاتها، لم يطمئن هذا الوضع إسرائيلى تحديدا ، فعمدت في مناسبات عدة للتأثير في تغيير وتحويل بوصلته، لكن عقيدته السياسية المغرورة في عقله الباطني ظل القوة التي يحسب لها حساب في أي صدام محتمل مع إسرائيل، وهو شعور جماهيري عام بموازاة العقيدة العسكرية للجيش ، اقلها غير المعلنة رسميا.

إن السهام الموجهة اليوم للجيش المصري ، ليست من صور نمطية عبثية، إنما تستند إلى جملة معطيات وثوابت من الصعب إن يتم تجاهلها لا من إسرائيل ولا من غيرها في المنطقة. لما للدور الريادي الذي يضطلع به الجيش المصري داخليا وخارجيا . ففي الداخل يعتبر صمام أمان اقتصادي إلى حد كبير، لما له من يد طولى في المؤسسات الصناعية الثقيلة، علاوة على مساهمتها في ثلث موازنة الدولة، معطوفا على شبكة العلاقات التجارية والاقتصادية الخارجية التي أنشأها وراكم خبراتها لتصبح سندا فعالا في أدائه السياسي الداخلي كما الخارجي . إضافة إلى ذلك، تعتنى المؤسسة العسكرية المصرية من صانعي السياسات الخارجية المصرية وصاحبة

الكلمة الفصل فيها ، ما يؤهلها لأن تكون النزاع الأقوى في أذرع النظام في كل الحقب السياسية التي توالى على الحكم في ارض الكنانة.

وقد سبق هذه الاستهدافات المباشرة وغير المباشرة للجيش العربي وش العربية الأخرى، وأدت إلى نفس السياقات والنتائج كما حصل للبنية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها بعد العام ١٩٨٢، إضافة إلى الجيش اللبناني الذي ادخل في متاهات النزاعات الداخلية، كما المحاولة مؤخرا للجيش الأردني . وفي قراءة دقيقة للوقائع السالفة ، تثبت أن ثمة استهدافا واضحا لكل القوى العسكرية لدول الطوق وللدول العربية المساندة لها، بصرف النظر عن ثقل وفعالية هذه القوى في الصراع مع إسرائيل.

إلا أن الأمر الأخطر في كل ذلك ، التصويب على الجيش المصري من بوابة محاربة الإرهاب الداعشي في ليبيا ، وهي خصوصية قاتلة للعلاقات المصرية الليبية التي فيها الكثير مما يقال ، وذلك لا يعني بالضرورة أن على الجيش المصري أن يحيي نفسه في مواجهة الإرهاب، إلا أن الطرق والوسائل التي يُجر إليها ، تنذر بعواقب قاسية على وضعه في تركيبة ما تبقى من النظام العام.

لقد قضى ما سميّ يوما بالربيع العربي على معظم الأنظمة، بعضها تلاشى وبعضها الآخر ينتظر، ونتيجة لذلك تمزقت المجتمعات العربية وأدخلت في أتون نزاعات وصراعات طاحنة، واليوم يأتي الدور على الجيوش التي تمكّنت وافترات من مكابدة ما جرت إليه ومن بينها أن تكون طرفا في النزاعات الداخلية داخل أنظمتها ، وربما اليوم نشهد الفصول الأخيرة من تمزيق الجيوش التي كانت في يوم من الأيام صمام أمان لمجتمعاتها ، بصرف النظر عن أدوارها في حماية أنظمتها في الداخل، وبعضها لمحاربة إسرائيل في الخارج.